

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١﴾

صَلَّى الْعَظِيمِ

إهداء

تحية ...

إعزاز وتقدير واحترام

لكل من عاوننى للإبحار لهذا البحث .

مقدمة

يعد القرن الرابع من أزهى العصور الأدبية ؛ لما خلفه من تراث أدبي وفكري يجعله معيناً لا ينضب أمام الدارسين ، فبعد أن نهلت منه بدراساتي للمتنبى في مرحلة الماجستير ؛ وجدتني أندفع إليه ثانية من خلال دراسة في مختارات الثعلبي لشعراء القرن الرابع وصدر الخامس ، وهي دراسة قصدت بها الكشف عن منهج الثعلبي في الاختيار لشعراء تلك الفترة وأدواته ووسائله التي اعتمد عليها ، وما هدف به من هذا الاختيار ، وما حققه بالفعل ، وعمدت في الجانب التطبيقي إلى الاستشهاد بنماذج شعرية تكشف النقاب عن فئة من الشعراء نجح الثعلبي في إخراجهم إلى دائرة الضوء ، رغم أنهم مغمورون ، عاشوا في الظن - إن صح التعبير - إذ لم ينل شعرهم حظه من الشهرة في زمنهم ، إما لبعدهم عن البلاط الملكي - راعى الحركة الأدبية والفكرية في تلك الفترة - لسبب أو لآخر أو لذيوع صيتهم في علم أو فن آخر غلب على شهرتهم في الشعر فعرفوا به ، أو لقلة شعرهم رغم جودته . فمثل هذه الفئات لم تزل الدراسة الكافية ؛ إذ انصب جُل اهتمام الدارسين لفنرتهم - القرن الرابع وصدر الخامس - على عظماء الشعراء أمثال المتنبى وأبي فراس الحمداني وأبي العلاء المعري ، لذا وجدت أن تركيز الدراسة على شعر هؤلاء الشعراء يمكن أن يقدم جيذاً ، كما أنه سيرز أثر جهد الثعلبي ؛ وقيمة صنيعة حينما عمد إلى عيون شعرهم وضمها في مصنف يحفظ لنا تاريخ فترة أدبية تعد من أثرى مراحل الفن لشعري عطاءً وإبداعاً .

وقد وجدت أنه من الضروري بمكان أن أبدأ الدراسة بتمهيد أنتبع خلاله فكرة الاختيار وتطورها في الشعر العربي ، والأسس المختلفة التي اعتمد عليها ، ثم أتبع ذلك بالفصول وما تتضمنه من مباحث على النحو الآتي :

الفصل الأول

المبحث الأول :

مختارات الثعالبى بين النظرية و التطبيق .

المبحث الثانى :

قضايا أثارها تقسيم الثعالبى .

المبحث الثالث :

وسائل الثعالبى فى جمع المختارات .

المبحث الرابع :

الشعر بين الديوان والمختار .

الفصل الثانى

تعدد مناحى الرؤية عند شعراء اليتيمة

المبحث الأول :

فى الموضوعات .

المبحث الثانى :

فى الصورة .

الفصل الثالث

إضافات حضارية فى شعر اليتيمة

المبحث الأول :

فى الموضوعات .

المبحث الثانى :

فى البنية .

المبحث الثالث :

التجديد فى الموسيقى عند شعراء اليتيمة .

قد أودعت نتائج البحث في الخاتمة ثم أردفتها بالمصادر والمراجع هذا
ورغم المتعة التي يحسها كل يتعمق في دراسة يتيمة الدهر إلا أن طبيعة الكتاب
تضع الباحث أمام صعوبات لعل أهمها :

أن معظم الشعراء الذين ذكرهم الثعالبي ممن أغفل ذكرهم في المصنفات
الأدبية في ما عدا اليتيمة ، فلم أجد دراسات أسترشد بها عند تتبعي لشعرهم ، كما
أن الثعالبي ذكر عددًا منهم بالكُنى أو الألقاب مما صعب مهمة البحث عنهم .

من هذه الصعوبات أيضًا تشابه أسماء الشعراء إلا حد يصل المطابقة مع
أعلام أخرى أو آبائهم في كتب التراجم وهو ما جعلني أضاعف جهدي لأصل
إلى ترجمة صحيحة وافية لمن وجدت من الشعراء أودعتها هوامش البحث .

كما أن الدراسات التي تناولت كتاب ' يتيمة الدهر ' بما يضم بين دفتيه من
مئات لشعراء مجيدين غير كافية ، فقد تأتى في صفحات قليلة ، وفي بعض
الأحيان في سطور من كتاب ، يرد فيها تعليق موجز على هذا المصنف الذي
يستحق دراسة أوسع من الباحثين .

تمهيد

الاختيار وتطوره فى الشعر العربى

إن الباحث عن الجذور الأولى للاختيار في الشعر العربي سيجد نفسه قد بدأ من العصر الجاهلي ، فالمفاضلة تفرض نفسها دائما ما دام قد وجد الشيء و نسده ، لقد اتفق المحكمون على جعل مجموعة من القصائد " المعلقة " هي النموذج الأمثل الذي تقاس عليه القصائد ، وهي تعد " أقدم ما بقي من مجموعات القصائد الكاملة ... التي جمعها حماد الراوية وسمّاها على غرار عناوين الكتب الأخرى " السموط " أو الاسم الآخر المألوف وهو " المعلقة " وأورد حماد من هاتين التسميتين الدلالة على نفاسة ما اختاره ، أو الافتخار بخالص اختياره ... " (١) .

لقد استحسن المحكمون هذه القصائد بعد مفاضلة بينها وبين غيرها وطول اختبار حتى أثبتت أحقيتها في المقدمة (٢) .

إن التساؤل الذي يفرض نفسه هو ما الأساس الذي عول عليه هؤلاء المحكمون في اختيارهم ؟ إنه من الملاحظ أن جميع النقاد تقريباً أجمعوا على أن " المتذوق الفطري " هو الوسيلة التي يستندون إليها لتقديم قصيدة على أخرى ، فالمصادر الأدبية تمثل بما يعضد ذلك الرأي ، من ذلك ما روى من أن الذابغة " يرى ليبيداً وهو غلام جاء مع أعمامه إلى النعمان بن المنذر فيتوسم فيه الشاعرية ويسأل عنه فينسيبونه فيقول له : يا غلام إن عينيك لعينا شاعر أفترض من الشعر شيئاً ؟ ، فينشده :

ألم ترجع إلى الدمن الخوالي

فيقول له : يا غلام أنت أشعر بنى عامر ، زدني فينشده فيقول :

طلل لخولة في الرسيس قديم

(١) كارل بروكلمان تاريخ الأدب العربي ترجمة مجموعة من العلماء الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص ١٢٤ .

(٢) عبدالقادر البغدادي - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - ت/ عبدالسلام هارون - مطبعة الخانجي ط/ ١ سنة ١٤٠٩ هـ - سنة ١٩٨٩ م - ج/ ١ ص ١٢٦ .

فيضرب بيده على جيبه ويقول " اذهب فأنت أشعر من قيس كلها " (١)
 فالإحساس الفني التكاملي في نفس الشاعر البدوي هو الحكم الأول ، وهو لم
 يأتي من فراغ فهذه المنكة إنما تحصل بممارسة كلام العرب ، وتكرره على
 السمع والتفطن بخواص تركيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في
 ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان ... (٢) فممارسة كلام العرب ، وطول
 السماع ، والتنبه لخصائص الأساليب العربية هي التي تصنع الناقد الذي يبني
 أحكامه على عدة أسس فقد " كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة
 والحسن بشرف المعنى وصحته وجزالة اللفظ واستقامته ... " (٣) . إن هذه
 المقاييس كانت نصب عين النقاد حينما فضلوا المعلقات على غيرها من
 القصائد . وقد تمكن حماد بن سabor المبارك المعروف " بحماد الراوية " من
 تدوين هذه القصائد لتكون أول ما يمكن أن نطلق عليه مختارات (٤) .

اتساع نطاق الاختيار في المفضليات :

استطاع " المفضل الضبي " الذي عرف بسعة اطلاعه ، وروايته
 للعلوم المختلفة (٥) أن يعمد إلى جمع أول مختارات ينتقيها فرد واحد
 فـ " إلى جانب مجموعة حماد الصغيرة المنتقاه ، وضع معاصره ومنافسه
 المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (المتوفى سنة ١٦٤هـ - سنة ٨٧٠م . وفي
 قول آخر ١٦٨هـ - ٨٧٤م ، أو ١٧٠هـ - ٧٨٦م اختيارات أوسع وأغزر " (٦)

(١) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - ط/ بولاق - ج/ ١٤ ص ١٠٠ .

(٢) ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون - المطبعة البهية المصرية - ص ٥١٥ .

(٣) عبدالعزيز الجرجاني - الوساطة بين المتنبي وخصومه - ط/ دار المعارف للطباعة والنشر -
 تونس ت/ أحمد عارف الزين - ص ٤٣ .

(٤) تاريخ الأدب العربي - نقله إلى العربية عبدالحليم النجار - ط/ دار المعارف - ج/ ١ ص ٦٧ .

(٥) ياقوت الحموي - معجم الأدباء - ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ج/ ٥ ص ٥١٥ .

(٦) تاريخ الأدب العربي - ج/ ١ ص ٧٢ .

إذ تضم مائة وثلاثين قصيدة . وبصرف النظر عن الخلاف الذى دار حولها من حيث عدد القصائد ، أو اشتراك غير منْ اشتهرت باسمه فى الانتقاء ، فإنه يهمنى أن نعرف المنهج الذى اتكأ عليه صاحب المفضليات ، إنه من الواضح أنها تحتوى على أشعار للجاهليين أمثال : الحارث بن حنظلة ، وتأبط شراً . وإسلاميين أمثال متيم بن نويرة ، والمرار بن منقذ ، ومحضرمين أمثال : أبى ذؤيب الهذلى ، وربيع بن مرقوم ، وسويد بن أبى كاهل اليشكري (١) .

من اللافت للنظر أنها لم تهتم فقط بمشاهير الشعراء ، ولكنها تضم شعراء جاد شعرهم على قنته " كبشامة بن عمرو " و " بشر بن عمرو بن مرثد " و " علقمة الفحل " و " المثقب العبدى " ، وهو ما يشر إلى اهتمام المفضل بالقول لا بالقائل .

كما أنها " تضم العدد الأكبر من القصائد الكاملة ، بل لعل القصائد الكاملة هى هدفها الأول ، وأن ما ورد فيها من مقطعات لم يكن نتيجة اجتراء المفضل أجزاء من قصائد كاملة فربما كانت المقطعة نفسها هى كل ما قاله الشاعر نفسه فى المناسبة " (٢) . إن المطلع على المفضليات ليتبين له أنها تحتاج من دارسها أن يمتلك ناصية اللغة ويتعمق فى أغوارها حتى يتسنى له فهم قصائدها . لقد رأى البعض أن ذلك يرجع إلى ذوق جامعها وسيله إلى الإغراب " ومنهم من يختار الوحشى من الشعر ، كما اختار المفضل للمنصور من المفضليات ، وقيل إنه اختار ذلك لميله إلى ذلك اللون من الفن " (٣) ولكننى أعتقد أن الداعى ذلك هو الهدف الذى من أجله جمعت هذه المختارات ، فقد أبدى المنصور إعجابه الشديد

(١) المفضل الضبي - المفضل ليات - ت/ أحمد شاكر وعبد السلام هارون - ط/ دار المعارف طر رقم ٧ - ص ٢٧ ، ص ٤٨ ، ص ٧٢ ، ص ١٠٨ ، ص ١٨٠ ، ص ١٩٠ ، ص ٤١٩ .

(٢) د/ عز الدين إسماعيل - ان مصادر الأدبية واللغوية فى التراث الإسلامى - ط/ دار غريب - ص ٧٤ .

(٣) أبوبكر الباقلاوى - إعجاز القرآن - ت/ عماد الدين حيدر - ط/ مؤسسة الثقافة - المدينة المنورة - ط/ ١ - سنة ١٤٠٦ هـ - سنة ١٩٨٩ م - ص ١٣٥ .

بحسن اختيار المفضل للشعر ، وأثنى عليه ثم قال له : لو عمدت إلى أشعار
المقلين واخترت لكذلك - أي المهدى - لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك
صواباً (١) فالغاية كما يتضح من النص السابق هي تمكين المهدى من ناصية
العربية ، وتقله بمحكمها ، ولهذا وقع الاختيار على القصائد القوية البناء ، الجزلة
الألفاظ ، المتقنة التأليف لتحقيق الغرض التنقيفي .

تواصل نهج المفضليات في الأصمعيات :

إذا انتقلنا إلى مرحلة أخرى ليست ببعيدة عن نمط ' المفضليات ' في
الاختيار فإننا سنخرج على " الأصمعيات " وهي مجموعة المختارات التي نهج
فيها " عبدالله بن قريب الأصمعي " نهج المفضل الضبي ، إذ اختار اثنتين
وتسعين قصيدة منها إحدى عشرة قصيدة مكررة في المفضليات للشعراء ،
وأحياناً يكون للشاعر الواحد أكثر من قصيدة مكررة كما هو الحال بالنسبة لكل
سن " حاجب بن حبيب الأسعدي " ، و " زيان بن سيار المري " و
" سنان بن حارثة المري " و " معامر بن الطفيل " و " عبد بن قيس بن
خفاف " فإن لكل واحد من هؤلاء الشعراء قصيدتين مكررتين في كل من "
المفضليات " و " الأصمعيات " . وهناك شاعر واحد ذكرت له قصيدة واحدة
مكررة في كل من المجموعتين هو سبيع من الخطم (٢) . يبدو أن ذلك التكرار
ليس توافقا في الذوق أو توارد خواطر ، فهو يحمل في طياته إخفاق الأصمعي
في تمثيل الموقف النقدي الناجم عن تغير في المناخ الأدبي ، من تعدد للثقافات
والروافد ، واختلاف الأذواق والمقاييس فـ " مع أن المشكلات جميعا كانت قد
برزت حين عاش الأصمعي فإن التصاقه بالرواية واللغة ذلك الالتصاق الشديد

(١) أبو علي القالي - الأمالي - والذيل - ط/دار الكتب العلمية - بيروت - ص ١٣١ ، وءعجم

الأدباء ٥١٧/٥ .

(٢) د. مصطفى الشكعة - منامج التأليف عند العلماء العرب - دار العلم للملايين - بيروت -

ط ٤ - سنة ١٩٨٢م - ص ٤٧٥ ، ص ٤٧٦ .

لم يسمح له أن يراها بوضوح أو يتمثلها" (١) وهذا ما يدفعني لنقول : إن الأصمعي لم يقدم رؤية جديدة في مختاراته وإنما ظل تحت عباءة سابقة حتى دفع ذلك البعض إلى القول إن الأصمعي " لم يقصد قصدا إلى تصنيف مجموعة من القصائد يختارها على غرار ما فعل المفضل ، وأنه ما قصد إلا التوسع في مجموعة المفضل " (٢) ما يؤكد ذلك قول الشنقيطي في آخر الأصمعيات " - وقد كتبها بخطه - نجزت الأصمعيات التي أخلت بها المفضليات " (٣) غير أنه من الملاحظ أن هذه المختارات استطاع صاحبها أن يفلت من القيد الذي أحاط بمختارات الضبي إذ عمد إلى النصوص السهلة لقريبة إلى الفهم .

جمهرة أشعار العرب ومنهج تصنيف النصوص :

تمثل " جمهرة أشعار العرب " منحى جديدا في نظام المختارات ، ولا نبالغ إذ قلنا : إنه أدخلها في طور آخر إذ قدم لها بمقدمة أورد فيها " أخبارا عن الأعراب والشعراء وبعض ملوك بني أمية ... " (٤) . وإن كان قد تورط بحشو هذه المقدمة بالخرافات والأساطير وما أورده فيها من أشعار لأدم والملائكة ، وعاد وثمود ... (٥) .

إن أهم ما يتسم به كتاب الجمهرة هو ذلك التقسيم الذي أراد به تصنيف الشعراء إلى فئات ، فوضع شعراء " المعلقات " في قسم والقسم الثاني لشعراء " المجهرات " وهم الذين رأى قصائدهم تتسم بالقوة والجزالة وقسم آخر أطلق على " المتنقيات " وقسم " للمذهبات " وقسم خرج فيه عن التقسيم الفئوي للشعراء

(١) د. / إحسان عباس - تاريخ النقد الأدبي عند العرب - نقد الشعر من القرن الثاني حتى الثامن

الهجري ط/ دار الأمانة - بيروت - ط/ ١ - سنة ١٣٩١ هـ - سنة ١٩٧١ م - ص ١٤ .

(٢) المصادر الأدبية اللغوية في التراث الإسلامي ص ٧٩ .

(٣) الأصمعي - الأصمعيات - ت/ أحمد محمد شاكر - عبدالسلام هارون - ط/ دار المعارف ص ٥ .

(٤) أبو زيد القرشي - جمهرة أشعار العرب - ط - صادر - بيروت - المقدمة - ص ٩ .

(٥) السابق ص ٢٦ ، ص ٢٧ .

وعاد إلى التقسيم حسب الغرض وهم " شعراء المراثي " وقسم لأصحاب " المشويات " وكذلك لأصحاب " المنحومات " . وقد انتهج في مختاراته مسلك اختيار الفحول المكثرين " واقتصر على اختيار قصيدة واحدة لكل شاعر ، والتي رآها ممثلة لشعر الشاعر كله ، أو كما لانزال نقول ممثلة لنفسه الشعري (١) وهذا ما يجعل الجمهرة تبدو مختلفة في منهجها وترتيبها ونصوصها و " يميزها عن سابقتها من محاولات الاختيار ولكنها تظل حلقة متينة في هذه السلسلة الباكرة في اختيارات الشعراء (٢) .

التصنيف القبلي للشعراء :

إذا كانت " جمهرة أشعار العرب " قسمت الشعراء حسب طبيعة النصوص ، فإنه ظهر نوع آخر من الاختيار نظر إلى الشعراء من منطلق المكان ، ويبدو أن الدافع لذلك هو منح فرصة الظهور لعدد من الشعراء الذين أغفل ذكرهم اهتمام النقاد بالفحول - إن صححت التسمية - من أمثلة تلك المختارات " شعراء الهذليين " وهو كتاب يضم شعراء وشاعرات هذيل في الجاهلية والإسلام ، ولكن أكثر ما جاء من شعرهم ينتمي إلى العصر الإسلامي (٣) وربما يكون السبب في ذلك هو فقدان أكثر الشعر الجاهلي لهذه القبيلة . وقد ظهرت مثل هذه المصنفات لقبائل مختلفة فقد قيل إن " أبا عمرو الشيباني " سجل من دواوين لقبائل أكثر من ثمانين ، و " محمد بن حبيب " المتوفى ٢٤٥ الذي ألف كتاب شعراء القبائل ... ومثل " أبي سعيد السكري " المتوفى حوالي ٢٧٥ الذي صنع كتاب بني أسد وأشعار بني أسد (٤) .

(١) المصادر الأدبية واللغوية ص ٨٥ .

(٢) مناهج التأليف عند العلماء العرب ص ٤٨٠ .

(٣) أبو سعيد السكري - شرح أشعار الهذليين - ت/ عبدالستار فراج - ط/ دار العروبة - القاهرة - ج/ ١ ص ٨ .

(٤) محمد عثمان علي - شعراء بني أسد - ط/ دار الأوزاعي - بيروت - ص ٨ .

الطبقات

أ - طبقات فحول الشعراء :

حاول ' ابن سلام " أن يتمثل التطور النقدي الذي بدأ يحتل ساحة الأدب ، فكانت فكرة " الطبقات " التي تمثل طورا جديدا من أطوار الاختيار .

لقد بنى ابن سلام منهجه على عدة معولات :

أولها : الفترة الزمنية حيث قسم الشعراء إلى شعراء جاهليين وإسلاميين " ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام ، والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام فنزلناهم منازلهم " (١) وهو في ذلك التقسيم لا يبعد عن روح الأصمعي " وقد يكون ابن سلام أشد صلة بالنقد المدروس من الأصمعي ، ولكنه يشبهه في أنه حصر رؤيته ضمن ذلك " الثبوت " الذي يمثله الشعر الجاهلي والإسلامي ؛ وهو كالأصمعي يرى الشاعر فحلا أو غير فحل ، لكنه يزيد عليه في أن الفحولة درجات ... (٢) .

ثانيها : اهتمامه بالجانب الموضوعي لغرض واحد فجعل قسما لشعراء " المراثي " متيم بن نويرة ، و' الخنساء بنت عمرو ، وأعشى باهلة ، وكعب بن سعد (٣) .

ثالثها : أنه أفرد بابا قسم فيه الشعراء حسب المكان فهناك شعراء المدينة ومكة والطائف واليمامة ، والبحرين ، وهو ما يدل على إيمانه بأثر المكان في الشعر ، ويمكننا أن نلاحظ أثر ذلك في ثنايا الحديث عن من ترجم لهم فمن ذلك قوله عن " عدي بن زيد " " كان يسكن الحيرة ومراكز الريف فلان لسانه

(١) محمد بن سلام الجمعي - طبقات فحول الشعراء - ت/ محمود شاكر - ط/ المدني -

ص ٢٣ ، ص ٢٤ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب - د/ إحسان عباس - ص ١٥ .

(٣) طبقات فحول الشعراء - ص ٢٠٣ .

وسهل منطقه "(١) وقال في مكان آخر " وأشعار قريش فيها لين "(٢) وقال في موضع آخر " وبالطائف شعر نيس بالكثير ، وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين أحياء العرب نحو حرب الأوس والخزرج ... والذي قتل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة والذي قتل شعر عمان ... "(٣) وهو ما نظر إليه البعض على أنه بقايا روح الجاهلية التي ظلت تؤثر في تاريخ العرب السياسي (٤) ورغم اختلاف كثير من النقاد حول جدوى ذلك التقسيم بين مؤيد ومعارض إلا أن اللافق للنظر أنه أحد العناصر المهمة التي ارتكز عليها كثير من أصحاب المختارات . كما سيتبين في موضعه إن شاء الله .

الشعر والشعراء :

استطاع ابن قتيبة أن ينأى بمنهجه بعيدا عن التقسيم الزماني والمكاني ، فهو لم يفرق بين متقدم ومتأخر ولم يجد داع لتفضيل قوم على غيرهم (٥) وهو بذلك يرفض المبدأ الذي بنى عليه ابن سلام كتابه . ولكنه لم يصرح لنا أيضا " بالاعتبار الذي قدم به من قدم من الشعراء أو الذي أخر به من أخره منهم "(٦) حقا إنه " قد ابتدأ بالجاهليين لينتهي بالإسلاميين فإنه لم يرتبهم في كل عهد وفقا لما كان معروفا عند العرب ... ولو أنه فعل لابتدأ بالمهلهل ... "(٧) لقد اختار ابن قتيبة لمائتين واثنين من الشعراء لكنه اهتم بمن اشتهر منهم ، حيث رأى أن

(١) السابق ص ٢٥٧ .

(٢) السابق ص ٢٤٥ .

(٣) السابق ص ٢٥٩ .

(٤) د. / محمد مندور - النقد المنهجي عند العرب - ط/ نهضة مصر - ص ١٣ .

(٥) ابن قتيبة - الشعر والشعراء - ت/ أحمد محمد شاكر - ط/ دار المعارف ص ٦٢ ، ص ٦٣ .

(٦) د. / بدوي طبانة - دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث - ط/ ٣ -

مكتبة الأنجلو - سنة ١٣٩٥ هـ - سنة ١٩٧٥ م - ص ٢١٠ .

(٧) النقد المنهجي عند العرب - ص ٢٦ .